دون كيشوت : (١)

عنوان القصة الأصلي هو « حياة الشهير دون كيشوت لامانشا ومنجزاته » . وخلاصتها ان السيد كويخادوكان يعيش في قرية من قرى مقاطعة لامانشا في شمال اسبانيا وحيدا الامن ابنة اخت له وخادمـــة المنزل وحصان . وكان في الخمسين مـــن عمره عندما قرر بتأثير روايات الفروسية التي انكب على قراءتها ان يحيي تقاليد الفرسان ويجعـــل من نفســـه فارسا يجوب الأقطار طلبا للمغامرات وتصحيح أخطاء العالم ونجدة الملهوف وحماية النساء .

اقنع كويخادو جاراً له فلاحا فقيراً بالالتحاق في خدمته مقابل وعد بتنصيبه حاكما على احدى الجزر . وذات يوم انسل كويخادو مع تابعه سانشو بانسا خلسة من القرية وقصدا أرض الله الواسعة . وتمشيا مع تقاليد الفروسية انتقى كويخادو لنفسه اسما طنانا هو دون كيشوت دولا مانشا كما أضفى على دابته اسم حصان اصيل مشهور هو « روسينانت » وانتقى لنفسه محبوبة وهمية اسماها السيدة دولسينيادي توبوزو ، وكان قد تقلد عدة حربية قديمة متآكلة واتخذ جميع مظاهر الفروسية فلم يكن يعيبه سوى أن تابعه سانشو بانسا كان يركب بغلا .

يصف سرفانتس في الجزء الأول من القصة مغامرات دون كيشوت الناجمة عـــن رغبته في اثبات بطولته وعن تصوره وجود الاعداء في كل مظهر من مظاهر الحياة والطبيعة ومن هنا كان انقضاضه على طواحين الهواء وعلى قطيع الغنم وعلى قرب الخمر المعلقة في المنزل وكانت كل مغامرة تنتهي بوقوعه ضحية اصابات بليغة وآلام مبرحة ولم يكن ذلك لينفع في اعادته إلى رشده ، فقد كان شديد الاصرار على أوهامه . فاذا ماثبت له مثلاً ان القطيع الذي هاجمه لم يكن جيشا معاديا ، بل قطيعا من الغنم فسر الأمر بأن السحرة مسخوا أعداءه غنماً ليعموا بصيرته . وهكذا لم تفلح أية حيلة في رده الى صوابه . لقد كانت مشكلته الأساسية انه اراد ان يقلب العالم عن طريق الوهم وان يعيد التاريخ عدة قرون الى الوراء ، وقاده هذا الاصرار الى أن يتوهم مثلا أن المنزل الحقير قلعة منيعة وان صاحب الفندق امير اقطاعي عظيم بل زين له وهمه المريض أن يجعل من خادمة الفندق الريفية ذات الملامح القاسية والشعر الخشن سيدة اقطاعية مثالية تفيض جوانحها رقة وعذوبة وأوقعه ذلك في ورطة مع صاحب الفتاة خرج منها مهزوما مهشم الأضلاع والرأس .

---

(١) تلخيص رواية « دون كيشوت » مستوحى من كتاب الدكتور حسام الخطيب« الأدب الأوروبي نشأته وتطوره ».